الفصل الثانى

الفقهاء والحياة التعليمية

أولاً : التعليم فى الأندلس في القرن الخامس الهجرى

مراحله:

المرحلة الأولى

- دور الفقهاء فى تعليم النشء (مرحلة المكاتب)
- تعليم الإناث

المرحلة الثانية

- التعليم فى المسجد
- التعليم فى البيوت
- حلقات العلـم

المرحلة الثالثة

- مجالس العلم والأدب

ثانياً: الرحلات العلمية

ثالثاً : الكتب والمكتبات

obeikandi.com

obeikandl.com

دور الفقهاء فى الحياة التعليمية

مما لاشك فيه أنه كانت للفقهاء مساهمة فعالة فى تطور التعليم فى الأندلس فى كافة مراحله الثلاثة سنوضحها في :

المرحلة الأولى : المكاتب

وهى مرحلة الكتاتيب أو المكان الذى كان يتلقى فيه الصغار تعليمهم ، وقد بدأت هذه المرحلة فى الأندلس مبكراً حيث مارسها الفقهاء منذ عصر الولاه ، ومن أول هؤلاء الفقهاءالفقيه"غازى بن قيس " (ت. ١٩٩هـ٨١٤م) (١) .

أما عن أماكن هذه المكاتب أو الكتاتيب فقد وجدت أحياناً فى منزل المؤدب أو فى منزل أحد التلاميذ أو فى الحوانيت فى الدروب ، كما غلب عليهم التأديب فى المساجد على الرغم من أن هذا الأمر لم يكن مستحباً لما ذكره النبى (صلى الله عليه وسلم):" جنبوا صبيانكم المساجد " ، وقد أشار ابن عبدون إلى أن المساجد بيوت الله ومواضع الذكر والعبادة وهى مشهورة بالطهارة ويجب ألا يؤدب فيها الصبيان فإنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا ثيابهم وإن كان لابد ففى السقائف (٢) . كما ذكر السقطى أن معلمى الصبيان يجب أن يكونوا بالشوارع العامرة بالناس وأصحاب الحوانيت (٣) وكل ذلك كان تابعاً لرأى مالك الذى قال :" لا أرى ذلك لأنهم لا يتحفظون من النجاسة"(٤) .

وقد أقام الخليفة "الحكم المستنصر"مبانى للمكاتب وأجرى الرواتب على المعلمين وكانت مخصصة لأولاد الفقراء والمساكين حول المسجد الجامع بقرطبة وفى كل ربض من أرباضها (٥) . وأرجع بعض المؤرخين إتخاذ المعلمين والمؤدبين للمساجد مكاناً لتعليم

(١) كريم عجيل حسين : الحياة العلمية فى مدينة بلنسية ، ص ٢٣٩ .
(٢)ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب،رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة،ت. ليفى بروفنسال،ص٢٤
(٣) آداب الحسبة ، ت. ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٦٨ .
(٤) الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ ٩ ، ص ٢٧ .
(٥) ابن عدارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ .

الصبية إلى قيامهم بأعمال أخرى فى هذه المساجد مثل الفقيه " أحمد بن خلف " (ت.٤٩٩هـ١١٠٥م) الذى كان معلم كتاب وصاحب صلاة (٦) ، ومن الممكن أن تكون كثرة عدد الصغار على مر القرون قد جعلت بيوت المؤدبين لا تستوعب هذه الأعداد (٧) .

كما اتخذ بعض المعلمين الفقهاء الحوانيت أو الدكاكين الموجودة قرب المساجد مكاناً لتعليم الصغار (٨) ، فقد أورد الونشريسى إجابة على سؤال وجهه للفقيه "أبى المطرف الشعبى" عن إمام من أئمة الجامع فى أحد الأمصار للجمعة والفريضة عمد إلى جهة من مصطبة الجامع بالمصر المذكور وهى متصلة بجدار الجامع الشرقى منه حيث كان الناس يمرون عليها إلى أن يدخلوا الجامع ،كما كانوا يصلون فيها الجمع لاتصالها بالجامع فمنع الناس من المرور عليها إلى الجامع ومن صلاة الجمعة بما أحدث فيها وذلك أنه اقتطع من الجهة المذكورة حانوتاً وسقفه ورده إلى غلق وباب فيه الحوانيت المتخذة للتجارة وجعل يؤدب فيه الأطفال للعامة بالأجر . فكان جواب الفقيه بأن يقضى عليه بهدم مابنى وإعادته كما كان أول مرة وتكون عليه مؤنة الهدم (٩) .

ويتضح من ذلك أن هناك معلمين قد امتهنوا مهنة التعليم وأنشأوا ما يشبه المدارس الخاصة فى العصر الحالى وحاولوا إختيار المساجد أو أماكن ملحقة بها حتى تكون معلومة لدى الجميع ، ولكن الفقهاء رفضوا ذلك رفضاً باتاً حتى لا يضر بالمسجد أو ملحقاته أو يضر المصلين ، كما يجدر الإشارة إلى نقطة هامة وهى أن هؤلاء المعلمين حتى ولو كانوا من دارسى الفقه فإن أغلبهم لم يصل إلى مرتبة الفقيه .

---

(٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
(٧) كريم عجيل : الحياة العلمية فى بلنسية ، ص ٢٣١ .
(٨) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٨٩ .
(٩) الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ ٩ ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

obeikandl.com

ولم تتحدد سنة معينة لالتحاق الصغار بالمكاتب ، وإنما ذكر الفقيه أبو بكر بن العربى :" أن للقوم فى التعليم سيرة بديعة وهى أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب"(١٠) .

أما عن العلوم التى كان يتم تدريسها فكانت تقتصر على تعليم القرآن الكريم لغرس الدين الإسلامى فى نفوسهم ولتعلم اللغة العربية ، كما كانوا يدرسون بعض الأشعار التى أثرت على الأندلسيين وكانت سبباً هاماً من أسباب حبهم للأدب وولعهم بالشعر واشتهار أشعارهم لكونهم قد تذوقوا الشعر منذ الصغر.

وكما لم يكن هناك سن محدد لالتحاق الأطفال بالمكاتب فلم يكن هناك سن محدد أيضاً للإنتهاء من هذه المرحلة ، ويبدو أن تحديدها كان يرجع إلى رأى المؤدب وقدرة الطفل الذهنية . أما عن عدد الطلاب فلم تشر المصادر إلى ذلك وإن كان من المرجح أن تكون أعدادهم كبيرة فى هذه المرحلة أكثر من غيرها ، وقد إزدادت هذه الأعداد فى القرن الخامس الهجرى عن ذى قبل نظراً لازدهار التعليم فيه وحرص الأندلسيين على تعليم أبنائهم.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن الأطفال كانوا يذهبون إلى المكاتب فى الصباح ويعودون وقت الغذاء ثم يعودون مرة أخرى بعد العصر. وقد ذكر أن المؤدبين كانوا يقسمون الوقت بين القرآن الكريم وبين تعليم الكتابة فكان تعليم القرآن يتم فى الصباح فى حين كانت مرحلة الكتابة تتم فى آخر النهار (١١) ، ومن كل ذلك يتضح أنه كانت هناك مكاتب أهلية وأخرى حكومية تشرف عليها الدولة .

(١٠) ابن العربى : أحكام القرآن ، جـ ٤ ، ص ١٨٨٣ نقلاً عن محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢٢٥ .
(١١) كريم عجيل : الحياة العلمية فى بلنسية ، ص ٢٣٣ .

obeikandl.com

تعليم الإناث

لم تشر المصادر إلى ذهاب البنات إلى المكاتب فى الأندلس ، وربما يكون من أهم العوامل فى ذلك تشدد المذهب المالكى فى هذه المسألة ، وإن كان ذلك لم يقلل من الاتجاه إلى تشجيع تعليم الإناث بشكل عام ، ولعل هذا يعنى أن الإناث كانت تتلقى التعليم فى المنازل وبخاصة فى القرن الخامس الهجرى الذى حفل بأسماء العديد من الشاعرات والأديبات بل والفقيهات المشهورات وهو أمر يعنى أنهن قد تلقين التعليم فى بيوتهن منذ الصغر ، وفى الغالب كان يتم ذلك على يد آبائهن أو إخوانهن أو ربما على أيدى معلمات كن قد فتحن بيوتهن مثل إبنة " حزم المعلم " التى كانت تؤدب مع والدها وأخيها فى دار واحدة (١٢) ، ومعلمة أخرى تدعى " فخر " (ت. ٣١٧هـ٩٢٥م) (١٣) ، وكذلك معلمة أخرى تدعى " غالبة بنت محمد " (١٤) .

على انه كان للنساء دور كبير فى تعليم الخاصة من أبناء الأمراء والحكام حيث كانوا يعلموهم القرآن الكريم والأشعار حتى يصبحوا على قدر من الخلق والتدين وهى شروط كانت ضرورية فى المعلمة كذلك (١٥) . ومما يؤكد وجود النساء فى بيوت الأمراء لتعليم أبنائهم ما ذكره الفقيه ابن حزم :" لقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن مالايكاد يراه غيرى لأنى ربيت فى حجورهن ... إلخ " (١٦) .

المرحلة الثانية : التعليم فى المسجد :.

لم يتوقف التعليم فى الأندلس على مرحلة المكاتب فقط وإنما كانت هناك مرحلة ثانية للتعليم تأتى بعد استكمال مرحلة المكتب كان مقرها المسجد ، فلم يكن المسجد فى

(١٢) ابن الأبار : التكملة ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .؛ محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢٦١ .
(١٣) نفس المصدر، جـ١ ، ص ٩٤ .؛ محمد عبدالحميد عيسى : نفس المرجع ، ص ٢٦١ .
(١٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦٥٣ .؛ محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢٦٢ .
(١٥) محمد عبدالحميد عيسى : نفسه، ص ٤٥٤ .
(١٦) طوق الحمامة ، ت. الطاهر مكى ، ص ٧٩ .

الأندلس قاصراً على إقامة الشعائر الدينية بل كان مؤسسة علمية ومنارة فكرية إنبثق منها نور العلم فى كل أرجاء الأندلس .

وفى هذه المرحلة ـ كسابقتها ـ ظهر دور الفقهاء جلياً حيث كان كل شيخ يقوم بعمل محدد ، كما كانت تحدد الفترة الزمنية التى يمضيها الطلاب فى هذه المرحلة ولكنها كانت تستكمل حين يشعر الشيخ باستيعاب الطالب لعلوم المرحلة ، وكان هذا الأمر يتوقف على الاستعداد الذهنى للطالب ومدى جديته فى تلقى العلم ، وكانت هذه المرحلة تضم خليطاً من العلوم التى تسهم فى إكساب الطالب قسطاً من الثقافة الواسعة .

أما طريقة التعليم فى هذه المرحلة فكانت تعتمد على طريقة الإقراء وتعنى قيام الشيخ بقراءة كتاب معين على الطلبة ويكتب الطلبة نسخهم أو يقوم أحدهم بقراءة الكتاب على زملائه ثم يقوم الشيخ بتصحيح القراءة وتقديم النطق السليم ، وقد أشتهر بهذه الطريقة كثير من فقهاء القرن الخامس مثل الفقيه " محمد بن يوسف بن محمد الأموى" (ت.٤٢٩هـ١٠٣٧م) (١٧) ،والفقيه " محمد بن معاف بن صميل " (ت. ٤١٠هـ ١٠١٨م) (١٨) ، والفقيه " إبراهيم بن ثابت بن أخطل " (ت.٤٣٢هـ١٠٤٠م) الذى أقرأ الناس فى مجلسه حتى وفاته (١٩) . وهناك طرق أخرى مثل طريقة الإملاء حيث كان يقوم الشيخ بإملاء الطلبة ما يعرف من العلوم وطريقة الحوار أو المناظرة، ويقوم الطلبة بطرح أسئلة واستفسارات على شيخهم فيتولى الشرح والتوضيح حول الموضوعات التى تخص السؤال (٢٠) ، ومن هؤلاء الفقيه " أحمد بن محمد بن رزق الأموى" (ت. ٤٧٧هـ١٠٨٤م) الذى كان مدار طلبة الفقه فى المناظرة والمدارسة(٢١) وهناك طرق أخرى مثل الرواية والسماع ، وقد اشتهرت هذه الطرق فى القرن الخامس على يد بعض الفقهاء

(١٧) ابن بشكوال : الصلة ، جـ٢ ، ص ٤٩٣ .
(١٨) نفس المصدر جـ ٢ ، ص ٤٧٦ .
(١٩) نفسه ، جـ١ ، ص ٩٣ .
(٢٠) محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٩ .
(٢١) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٦٨ .

مثل الفقيه " سلمة بن سعيد بن سلمة بن حفص بن برد الأنصارى" (ت. ٤٠٦هـ١٠١٤م) الذى كان راوية للعلم ، حدث وسمع الناس منه كثيراً (٢٢) .

وكان أمراً طبيعياً أن يتأثر أغلب الطلاب بشيوخهم ويتبعون نفس منهجهم لفرط تشيعهم لهم مثل الفقيه " أبو إسحاق الألبيرى " الذى تأثر بشيخه " أبى عبد الله بن أبى زمنين " (ت. ٣٩٩هـ١٠٠٧م) وسلك منهجه فى الزهد ، كما أنه أفرط فى حب أستاذه " على بن توبة " وهجا من أجله فقيهاً آخر وكتب فيه شعراً (٢٣) ، والفقيه " ابن العطار " (ت. ٤٠٠هـ١٠٠٨م) الذى قرأ عليه طلبته القرآن فى جنازته وكانوا أوفياء لذكراه (٢٤) (وإن كان خارج نطاق البحث) .

وقد أشارت كتابات المؤرخين إلى تقاضى الفقهاء المعلمين أجوراً على عملهم سواء من الدولة أو من الطلبة أنفسهم فى القرن السابع الهجرى وإن كانت لم تشر إلى مثل ذلك فى القرن الخامس (٢٥) .

وعلى الرغم من أن محاولة الفقهاء للارتقاء بمهنة التعليم إلى حد الجهاد يعنى تكريماً للمشتغلين به ودفعاً لنيل ثوابه إلا أن التفرغ الكامل للعلم كان مرتبطاً إلى حد كبير بالقادرين من الفقهاء وهو أمر كان له أثره على حركة التعليم ، وقد أشارت المصادر إلى فقهاء قسموا وقتهم بين قضاء أعمالهم ومواصلة علمهم مثل الفقيه " عامر بن إبراهيم بن عامر بن عمروس الحجرى " الذى كان يجلس فى مسجده للرواية عشاءاً ويقضى نهاره فى الحصول على معاشه (٢٦) .

أما عن المعلمين الفقهاء الذين مارسوا هذه المهنة فقد اختلفت الآراء حول تقاضيهم رواتب عن هذا العمل ، فقد إعتبرها البعض رسالة لنشر العلم بين المسلمين وكانوا

(٢٢) نفس المصدر، ص ٢١٩ .
(٢٣) مصطفى غازى : أبو إسحاق الألبيرى ، ص ٨٠ .
(٢٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٨٤ .؛ محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٣٦٨ .
(٢٥) محمد عبدالحميد عيسى : نفسه، ص ٣٦٢ .
(٢٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .

obeikandl.com

يقتاتون من مهن أخرى كالتجارة أو إمامة المسجد وغير ذلك من الوظائف ، وهناك معلمون تفرغوا لمهنة التأديب وتقاضوا عليها أجراً (٢٧) ، وقد رأى بعض الفقهاء أن أخذ الأجر على تعليم القرآن شئ مبتدع خاصة أنهم شجعوا إنتشار علوم الشريعة وعلوم القرآن كما شجعوا علوم اللغة والحساب والفرائض (٢٨) ، والجدير بالذكر أن المذهب المالكى كان يفضل التعليم دون أجر ، فقد أورد الونشريسى أن مالك كره الإجارة على التعليم (٢٩)

ويبدو أن ذلك كان قاصراً على علوم بعينها كالقرآن وعلوم الشريعة التى كان يعتبرها الفقهاء جهاداً ، ولكن ذلك لم يقطع الطريق أمام بعض الراغبين فى التفرغ لهذه المهنة وفى إطار العلوم الأخرى .

وإذا كانت المؤسسات الحاكمة على إختلاف أمورها قد أجازت إمكانية الحصول على أجر لقاء الخدمة فى المساجد فكان من الأجدر أن يتخذ أمر مماثل بالنسبة لأجر المعلم حيث أن خدمة المساجد كانت درباً من دروب الجهاد كذلك وهذا ماتم الأخذ به فى فترة لاحقة للمدة الزمنية التى عالجتها هذه الدراسة .

التعليم فى البيوت : .

كان للبيت دوره الهام قبل دخول الأطفال المكاتب حيث كان يقوم الآباء بتعليم أبنائهم بعض آيات القرآن وبعض الأشعار (٣٠) مثل الفقيه " أبوعبدالله بن الحذاء " الذى روى عن والده أكثر رواياته وندبه صغيراً إلى طلب العلم (٣١) .

(٢٧) الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ ٩ ، ص ٤٩ .
(٢٨) أبو الوليد الباجى : وصيته لولديه ، ت. جودة هلال ، ص ١٧ .
(٢٩) الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ ١١ ، ص ١٧ .
(٣٠) محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢١٦ .
(٣١) ابن شكوال : الصلة ،جـ ١ ، ص ٦٢ .

وقد كان شائعاً إتخاذ المعلمين المنازل كمكان للدراسة (٣٢) . ولا يمكن إغفال دور البيت فى تعليم المرأة الأندلسية حيث كانت تتلقى تعليمها على يد الأب أو الأخ الأكبر فى مرحلة المكتب ، أما فى المرحلة الثانية فكان الفقهاء يخصصون بعض أوقاتهم فى المسجد لتعليم الإناث فى عصور متقدمة (٣٣) ، أما فى الحقبة المعنية بالدراسة فلا يمكن جزم ذلك وربما كن يعتمدن على التعليم فى البيت فى هذه المرحلة أيضاً .

حلقات العلم :-

ومن الواضح أن الفقهاء قبل الخامس الهجرى قد اعتادوا على هذه الحلقات ومن أشهر الفقهاء الذين أقاموا حلقات للعلم فى القرن الخامس الهجرى الفقيه "أحمد بن قاسم بن محمد بن يوسف التجيبى" المعروف بابن أرفع رأسه (ت. ٤٠٣هـ١٠١١م) (٣٤) كما قام الفقيه " أبو الوليد الباجى " (ت. ٤٧٤هـ١٠٨٢م) بقراءة صحيح البخارى فى الحديث على طلابه ، ومن الذين استمعوا إليه الفقيه " ابن واجب القيسى " (٣٥) . وقد يشترك فى الحلقة الواحدة أكثر من شيخ مثل الفقيه " أبو إسحاق إبرهيم بن محمد بن حسين الأموى " (ت. ٤٠٢هـ١٠١٠م) ، فلما توفى " أبو جعفر " إنفرد " أبو إسحاق " بالحلقة (٣٦) . وكان الفقيه يقيم حلقات فى المسجد يجمع فيها الطلبة لدراسة كتاب وإملائه ، وإذا مات الشيخ يسعى الطلاب للبحث عن بديل عنه ، أما إذا رحل فكان يستخلف مكانه فقيه آخر مثل الفقيه " أبو الوليد الباجى " الذى كان يستخلف الفقيه " عبدالله بن إبراهيم بن حجاج الكتامى السبتى " (ت. ٤٧٠هـ١٠٧٨م) (٣٧) على تدريس أصحابه .

(٣٢) محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٣٣) نفس المرجع ، ص ٣٦٨ .
(٣٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٥٦ .
(٣٥) نفس المصدر، جـ ٢ ، ص ٥٥٤ .
(٣٦) نفس المصدر ، ص ٩١ ، ٩٢ .
(٣٧) نفس المصدر ، ص ٢٨٨ .

كما قامت الدولة بإنشاء اعداد كبيرة من المساجد للعبادة والعلم وكان يتم الانفاق عليها من بيت مال المسلمين أو من الأحباس (الأموال المحبوسة) ، كما قام بعض الأفراد من الفقهاء وغيرهم بإنشاء مساجد يتولون الإنفاق عليها (٣٨) .

أما عن مواعيد حلقات الدرس فكانت تتوقف على توافق مواعيد الفقيه و مواعيد العمل والصلاة ، كما أن هذه المواعيد تتغير بحيث يتسنى للطلاب حضور أكثر من حلقة فى عدة مساجد ويتم ذلك بالإتفاق مع الفقيه (٣٩) ، ولم تكن الحلقات محددة بوقت فيمكن للطالب الإنصراف فى أى وقت ، كما أتيحت له حرية إختيار العلم الذى يميل إليه سواء علوم دينية أو علوم عقلية أو علوم لسانية ، وقد أشار الونشريسى إلى أنه من الممكن دراسة الحساب وإعراب الأشعار داخل المساجد ، أما المقامات فإنه يحرم قراءتها داخل المساجد لما فيها من الكذب والفحش (٤٠) .

أما عن عدد الطلاب فى هذه المرحلة فإنه يقل عن سابقتها وإن كانت المصادر لم تشر إلى أعداد تقريبية لطلاب هذه المرحلة .

والجدير بالذكر أنه كان للطالب الحرية فى التنقل بين الشيوخ ، فقد نوه الونشريسى إلى ذلك فى عرضه لإحدى المسائل بأنه على الطالب السؤال عن الشيخ الذى سيختاره أستاذاً ويتأكد من علمه بأن يسأل عنه ، كما أنه على الفقيه أو الشيخ الذى يجد نفسه مؤهلاً لذلك أن يدعو الطلاب للتعلم على يديه (٤١) .

المرحلة الثالثة: وكان يتولاها كبار الشيوخ من الذين تخصصوا ووصلوا إلى درجة كبيرة من العلم ، وبالنسبة لدارسى الفقه فإن من يدرس لهذه المرحلة هم الفقهاء الذين وصلوا لدرجة الفتيا ، ولقب الفقيه لا يطلق إلا على من أتموا مراحل تعليمهم .

---

(٣٨) الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ ٩ ، ص ٥٠ ، ٥١ .
(٣٩) كريم عجيل : الحياة العلمية فى بلنسية ، ص ٢١٤ .
(٤٠) الونشرسى : المعيار المعرب ، جـ ١١ ، ص ١٣ .
(٤١) نفس المصدر ، ص ١٧ .

وهذه المرحلة إستكمالية للعلوم التى يحس الطالب أنه مازال فى حاجة إلى دراستها، وهى المرحلة التى يستطيع الطالب بعد إستكمالها الحصول على الإجازة من أساتذته ويستطيع أن يدرس ويقوم بعمل حلقات علمية (٤٢) بعد ملازمة أستاذه مدة طويلة والرواية له والسماع منه .

وكان غالبية الطلاب فى هذه المرحلة يقومون برحلات إلى الشرق لتلقى العلم على يد علماء المشرق وقد يحصل على الإجازة هناك وبعودته يكون قد إكتمل علمه، أما الطلاب الذين لم يسافروا إلى المشرق فهؤلاء كانوا يقومون بقراءة الكتب المشرقية التى وجدت بأعداد كبيرة فى الأندلس والتى جلبها الفقهاء والعلماء والتجار القادمون من المشرق سواء كانوا أندلسيين أو مشارقة ، وقد ورد عند الونشريسى أن الفتيا لاتتوقف على إجازة بل من عرف منه العلم والدين جاز له أن يعلم ويفتى (٤٣) .

وكانت دراسة الفقه شبه وراثية فنجد أن أسر بأكملها اختصت بدراسة الفقه والعمل فى حقله مثل بنو جحاف وبنو واجب وبنو جهور وبنو ذكوان وغيرهم ، وقد أشارت المصادر إلى أن الفقيه " أبا الوليد الباجى " كان خاله فقيهاً ومن بعده إبنه ـابن أبو الوليد الباجى ـ كان فقيهاً أيضاً ، وكذلك الفقيه " أبو عمر بن عبد البر النمرى " كان والده فقيهاً ، ومن قبلهم الفقيه " أبو عبدالله بن أبى زمنين " الذى اشتغل كل من إبنه وحفيده بالفقه أيضاً وغيرهم كثير.

وقد وصل تعليم النساء فى هذه المرحلة إلى حد كبير حتى حصلت بعض النساء على الإجازة العلمية مثل الفقيهة " فاطمة بنت محمد بن شريعة اللخمى " أخت الفقيه "أبو محمد الباجى" ويبدو أنها كانت تشارك أخاها فى السماع إلى الشيوخ أو أنها كانت

(٤٢) محمد عبدالحميد عيسى : تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٣٧٠ .
(٤٣) المعيار المعرب ، جـ ١١ ، ص ١٧ .

openkanar.com

تتعلم عن طريقه حيث ينقل لها ما سمع ، وقد حصلت على إجازة الفقيه " محمد بن فطيس" لها ولأخيها فى جميع روايته (٤٤) .

ومن الواضح أن النساء فى الأندلس كن يتعلمن فى بيوتهن عن طريق آبائهن أو إخوانهن فى المرحلتين السابقتين ، أما المرحلة الثالثة فكن يتعلمن على يد الشيوخ إما بصحبة أحد محارمهن أو أنهن كن يسمعن روايات الشيوخ بشكل غير مباشر عن طريق المحارم أيضاً .

مجالس العلم

تعددت أنواع مجالس العلم فى الأندلس فهناك مجالس علمية كان يقيمها الحكام والأمراء فى العصر الأموى مثل المجلس الذى كان يقيمه " المنصور بن أبى عامر" أسبوعياً، كما قامت مجالس للمناظرة فى عصر الطوائف فى قصور الحكام مثل المناظرات التى قامت بين الفقيه " ابن حزم " والفقيه " أبوالوليد بن البارية " فى ميورقة فى مجلس "ابن رشيق" ، والمجالس التى قامت بين الفقيهين " ابن حزم " و" أبو الوليد الباجى " لدى " ابن رشيق " أيضاً .

ومن الواضح أنه كانت هناك مجالس للسماع ومجالس للرواية ومجالس للإجازة ومجالس للإقراء ، ومن أشهر مجالس السماع مجلس الفقيه "على بن محمد بن عبدالعزيز بن حمدين التغلبى"(ت.٤٨٢هـ ١٠٩٠م) حيث كان مجلسه فى المسجد الجامع بقرطبة(٤٥) ، ومن مجالس الرواية مجلس الفقيه " عامر بن إبراهيم بن عامر بن عمروس الحجرى " (ت. ٤٣٣هـ١٠٤١م) (٤٦) .

وبشكل عام فإن هذه المجالس ، شأنها شأن حلقات الدرس التى كان يقيمها الفقهاء لطلاب المرحلة الثانية ، كانت تورث فى أغلبها ، فعلى سبيل المثال ورث

(٤٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦٥٣ .
(٤٥) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٥٣٩ .
(٤٦) نفس المصدر، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .

الفقيه"أبو عمر بن عبدالبر"(ت.٤٦٣هـ١٠٧١م) إبنه " القاسم " مجلسه (٤٧) . ولم يكن الأمر قاصراً على توريث الإبن بل كان من الممكن أن يورث الفقيه أحد تلاميذه أو يستخلف فى حياته لمجلسه فقيهاً آخر، فقد فعل ذلك الفقيه " أبو الوليد الباجى " حيث إستخلف الفقيه " عبدالله بن إبراهيم بن حجاج الكتامى " بدلاً عنه (٤٨) . كما لم تكن هذه المجالس قاصرة على علوم الدين فقط بل تشمل علوم الحياة ، فقد ورد أن الفقيه "أحمد بن محمد بن شنظير الأموى " (ت. ٤٠٢هـ١٠١٠م) كان لايذكر شيئاً من أمور الدنيا وكان وقوراً مهيباً عرف بوقار مجلسه وهو أمر يشير إلى أن غيره من الفقهاء قد تناولوا هذه الأمور (٤٩) .

ولم تسلم مجالس العلم من تدخل بعض الحكام سواء فى إقامتها أم فى مسيرتها فذكرت بعض المصادر أن " سليمان بن الحكم المستعين " قد نوه بإقامة مجلس للقراء فى المسجد الجامع يقيمه الفقيه " سليمان بن هشام بن وليد بن كليب المقرئ " (ت. ٤٠٠هـ١٠٠٨م) ، ويبدو أن " ابن الحكم " قد منح هذا الفقيه راتباً أو مكافأة على هذا العمل أصابه بثراء واضح (٥٠) .

وقد حققت بعض هذه المجالس شهرة واضحة ذاعت بين الناس بسبب شهرة فقهائها الأمر الذى كان يؤدى إلى إجتذاب الناس إليها ، ومن بين الفقهاء الذين أشتهرت مجالسهم الفقيه " حسين بن محمد بن فين بن حيون بن سكره الصدفى " (ت. ٥١٦هـ١١٢٢م) الذى عقد مجالس للحديث فى بلنسية (٥١) .

وعلى الرغم من الظروف السياسية المضطربة التى سادت القرن الخامس الهجرى إلا أن مجالس الوعظ قد كثرت فيه ، وربما يكون ذلك رد فعل طبيعى للاضطراب السياسى ومن بين من اشتهروا من الفقهاء فى هذا المجال الفقيه " عبدالرحمن بن عبدالله بن

(٤٧) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨٠٧ .
(٤٨) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .
(٤٩) نفس المصدر ، ص ٩١.
(٥٠) نفس المصدر جـ ١ ، ص ١٩٢ .
(٥١) نفس المصدر ، ص ١٤٢ .

يوسف الأموى " (ت. ٤٣٨هـ١٠٤٦م) [٥٢] ، والفقيه " قاسم بن محمد بن هلال القيسى " (ت. ٤٥٨ هـ١٠٦٦م) [٥٣] ، والفقيه " أحمد بن يحيى بن حارث الأموى"[٥٤] ، والفقيه " أحمد بن محمد بن عبدالرحمن الأنصارى الشارقى الواعظ " (ت. ٥٠٠هـ١١٠٦م) [٥٥] .

على أن قضايا الوعظ المقصودة لم تكن قاصرة على التذكير بجوانب الدين وشرائعه وإنما كانت تفاعلاً مع القضايا المثارة فى ذلك الوقت .

وقد اتخذت بعض هذه المجالس من المساجد مقراً لها وبقصد دراسة علم بعينه فعلى سبيل المثال أقام الفقيه " عبدالله بن فرج بن غزلون " المعروف بابن العسال مجلساً لدراسة علم التفسير [٥٦] ، كما أقام الفقيه " عبدالرحمن بن فطيس " (ت.٤٠٢هـ١٠١٠م) مجلساً لدراسة الحديث متخذاً فيه ستة من الوراقين لكتابة مايمليه من الأحاديث التى كان يحفظها لقاء راتب معلوم [٥٧] .

وقد خلفت مجالس الفقهاء تلاميذ نقلوا عنهم علومهم وأفكارهم إلى أرجاء شتى ، فقد تتلمذ على يد الفقيه " ابن حزم " الفقيه " محمد بن أبى نصر فتوح بن عبدالله بن حميد الأزدى الحميدى " (ت٤٩١هـ ١٠٩٩م) ، والفقيه " محمد بن طاهر المقدسى" والفقيه " أبو عبدالرحمن معاوية بن عامر " [٥٨] ، وكان من تأثير تلاميذ " ابن حزم " أن أصبح المذهب الظاهرى مذهباً رسمياً فى الأندلس فى نهاية القرن السادس الهجرى فى عصر الموحدين على يد " أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن " ثالث خلفاء الموحدين حيث حرقت مدونة سحنون التى كانت من ركائز المذهب المالكى فى الأندلس [٥٩] .

---

(٥٢) نفس المصدر ،جـ١ ، ص ٣٣٤ .
(٥٣) نفس المصدر ، ص ٤٨٨ .
(٥٤) نفس المصدر ، ص ٤٥ .
(٥٥) نفس المصدر ، ص ٧٥ .
(٥٦) نفس المصدر ، ص ٢٧٦ .
(٥٧) نفس المصدر ، ص ٢٩٨ .
(٥٨) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، صفحات متعددة .؛ جمعه شيخة : الحياة الفكرية فى الجزائر الشرقية ، ص ٥٧ .
(٥٩) جمعه شيخة : الحياة الفكرية فى الجزائر الشرقية ، ص ٥٨ .

وهناك فقيه آخر ترك مجموعة من التلاميذ هو الفقيه " أبو عبدالله محمد بن عتاب ابن محسن " (ت. ٤٦٢هـ١٠٧٠م) الذى تتلمذ على يديه كل من الفقيه"أبو الأصبغ عيسى بن سهل الأسدى"(ت٤٤٨هـ ١٠٥٦م) والفقيه " أبو الحسن على ابن عبدالعزيز بن حمدين " (ت٤٨٢هـ ١٠٨٩م) والفقيه " أبو جعفر أحمد بن محمد ابن رزق الأموى " (ت. ٤٧٧هـ١٠٨٥م) (٦٠) . كما تتلمذ الفقيه " عبدالواحد بن عيسى الهمذانى " (ت. ٥٠٤هـ١١١٠م) على يد الفقيه " أبى إسحاق الألبيرى " (٦١) .

أما الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمرى " فكان له عديد من التلاميذ مثل الفقيه " حسين بن محمد بن أحمد الغسانى الجيانى " (٤٢٧ .٤٩٨هـ١٠٣٥ .١١٠٦م) وكان من أنبغ التلاميذ حيث بلغ مرتبة رئيس المحدثين بقرطبة نظراً لعنايته بالحديث رواية وضبطاً ، كما كان بصيراً باللغة ملماً بعلم الأنساب شاعراً ترك العديد من المؤلفات وحازت روايته ثقة كبيرة أشتهر بها مجلسه فى المسجد الجامع بقرطبة (٦٢) . وكذلك الفقيه " عبدالرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن "(ت. ٥٢٠هـ١١٢٦م) على الرغم من أنه كان ينتمى إلى بيت علم وكان أبوه فقيهاً مشهوراً إلا أن تلمذته على يد الفقيه " ابن عبدالبر " قد أسهمت فى أن يكون بصيراً بعلم الحديث وعلم الوثائق حافظاً للأمثال والأشعار والأخبار ، وإلى جانب أستاذه فقد سمع من أبيه وروى عنه وكذلك من فقهاء آخرين إلا أنه كان أكثر ملازمة لأستاذه " ابن عبدالبر " (٦٣) ومن تلاميذ الفقيه " ابن عبدالبر " كذلك الفقيه " خلف بن عبدالله بن سعيد بن عباس " والفقيه " على بن إبراهيم بن فتح " (٦٤) وكذلك الفقيه " محمد بن أبى نصر الأزدى الحميدى " الذى تتلمذ على يد

(٦٠) القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٨١٠ .
(٦١) نفس المصدر ، ص ٨٢٨ .
(٦٢) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٤١ .؛ ليث سعود جاسم : ابن عبدالبر ، ص ١٤٠ .
(٦٣) نفس المصدر، ص ٣٣٢ .؛ ليث سعود : نفس المرجع، ص ١٤٥ .
(٦٤) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ١ ، ص ٣٩٩ و ٦٧٠ .

الفقيه " ابن حزم " أيضاً ، وهو صاحب كتاب جذوة المقتبس وكتاب الجمع بين الصحيحين ، وكان أكثر ملازمة للفقيه " ابن عبدالبر " فى كثير من مراحل حياته (٦٥) .

أما عن تلاميذ الفقيه " أبى الوليد الباجى " فهم كثيرون أيضاً ، فقد أشتهر منهم "الحميدى" و " الطرطوشى " و " سليمان بن أبى القاسم بن نجاح " و " أحمد بن على بن غزلون الأموى " و " سفيان بن العاصى الأندلسى " و " الحسين بن على الغسانى الجيانى" و " على بن عبدالله بن موهب الجذامى " (ت. ٥٣٢هـ١١٣٨م) و " حسين بن محمد بن حيون الصدفى " (ت. ٥١٤هـ١١٢٠م) و"محمد بن عبدالرحمن بن شيرين" (ت. ٥٠٣هـ١١٠٩م) ، بالإضافة إلى إبنه " أحمد بن سليمان الباجى " المعروف بأبى القاسم الذى تفقه على يديه وخلفه فى حلقاته (٦٦) ، والفقيه " محمد بن واجب بن عمر بن واجب القيسى " والفقيه " محمد بن عبدالعزيز بن أبى الخير بن على الأنصارى "(٦٧)

وبقدر ماخلف هؤلاء الفقهاء تلاميذ كانت لهم مؤلفاتهم أيضاً وبخاصة التى تحدثت عن التعليم مثل كتاب (آداب المعلمين) الذى ألفه الفقيه " أحمد بن محمد بن عفيف بن عبدالله بن مريول " (ت. ٤٢٠هـ١٠٢٨م) وهو أمر يشير إلى أن مثل هذه المؤلفات التى تعرضت لقضية التعليم قد ظهرت منذ بداية القرن الخامس الهجرى (٦٨)

وإذا كانت المدارس بشكلها المنظم قد ظهرت فى المشرق الإسلامى فى بغداد فى القرن الخامس الهجرى إلا أنها لم تظهر فى الأندلس إلا آخر عهد الموحدين .

الرحلات :-

بعد أن استقر الأمر للمسلمين فى الأندلس استطاعوا أن يقيموا بناءاً حضارياً أصبح له مع مرور الزمن طابعاً خاصاً يميزه ، ومع ذلك ظلت الحاجة إلى إستلهام ودعم

(٦٥) نفس المصدر ، ص ٥٣٠ .؛ ليث سعود : ابن عبدالبر ، ص ١٥٠ .
(٦٦) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٧٣ .؛ الباجى : الإحكام فى أصول الأحكام ، ت. محمد عبدالله الجبورى ، المقدمة ، ص ١٩ .
(٦٧) نفس المصدر ، ص ٥٤٣ ، ٥٤٤ .
(٦٨) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٤٣ .؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص٧٣٥ .

كافة المقومات الحضارية تدعو فقهاء الأندلس إلى الترحال إلى المشرق الإسلامى وأصبحت رحلات الفقهاء إلى المشرق طابعاً يميز أصحابه ويدعو غيرهم من الفقهاء إلى السماع لهم والأخذ عنهم . ومن الفقهاء الذين اشتهروا برحلاتهم إلى المشرق الإسلامى فى العصر الأموى الفقيه " عبدالملك بن حبيب " (ت٢٣٨هـ٨٥٨م) الذى سمع من الكثير من علماء المشرق أثناء رحلته ثم عاد إلى الأندلس لتكون له الرياسة فيها (٦٩) ، وكذلك الفقيه " بقى بن مخلد " (ت٢٧٦هـ٨٩٦م) الذى استطاع من خلال رحلته إلى المشرق أن يأتى بكتاب المصنف لـ " أبى بكر بن شيبة " (٧٠) ، وكتاب الفقه لـ"محمد بن إدريس الشافعى " وكتاب التاريخ لـ " ابن الخياط " و سيرة عمر بن عبدالعزيز لـ " الدورقى " (٧١) وكذلك الفقيه " محمد بن عبدالسلام الخشنى " (ت٢٨٦هـ٩١٦م) الذى طاف بمكة وبغداد ومصر وأدخل الكثير من حديث الأئمة وقواعد اللغة والشعر الجاهلى بروايته (٧٢) والتقى الفقيه " محمد بن وضاح " (ت٢٨٧هـ٩١٧م) بالعديد من العلماء فى مكة وبغداد والشام ومصر والقيروان ثم عاد إلى الأندلس ليكون من أشهر علماء الحديث والمجددين فى الفقه المالكى المشاركين فى ثورة ثقافية مع الفقيه "بقى بن مخلد" (٧٣) .

ومن فقهاء القرن الرابع الذين ارتحلوا إلى المشرق الإسلامى الفقيه " محمد بن فطيس بن واصل الغافقى " (ت٣١٩هـ٩٣٩م) حيث طاف بالحجاز ومصر والعراق حتى ذكر أنه التقى بمائتى شيخ ، وحين عاد إلى الأندلس واستقر بألبيرة أصبحت به مقصداً للسماع وأخذ العلم (٧٤) ، والفقيه " محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار " (ت٣٢٧هـ٩٤٧م) الذى استمرت رحلته إلى المشرق مايزيد على أربعة أعوام زار خلالها

(٦٩) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس،جـ ١، ص ٤٥٩ .؛ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، جـ ٤ ، ص ٣٠ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢، ص ٢١٧ .

(٧٠) ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٧١) ابن الفرضى : نفسه، ص ١٦٩ الضبى: بغية الملتمس،جـ١،ص ٣٠١؛ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٧٢) ابن الفرضى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٧٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، ق ١ ، ص ١٥٣ .

(٧٤) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٦٨٩ .

الحجاز والعراق ومصر [٧٥] . وشارك خلال هذا القرن فقهاء آخرون كالفقيه "محمد بن عبدالملك بن أيمن" (ت٣٣٠هـ٩٥٠م)والفقيه "محمد بن عبدالله بن عيشون " (ت٣٤١هـ٩٦١م) [٧٦] .

خص القرن الخامس الهجرى برحلات الفقهاء إلى المشرق الإسلامى كما ذخر برحلات علماء من المشرق الإسلامى إلى الأندلس وإن لم يشكلوا كثرة بمثل من رحل من الأندلس الى المشرق وربما كان ذلك بسبب الظروف السياسية ، مما كان له أثره فى النشاط الثقافى الذى امتاز به هذا القرن . ومن أول الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق خلال هذا القرن الفقيه " أبو عبدالله بن الفخار " (ت. ٤١٩هـ١٠٢٧م) حيث قام برحلة إلى العراق والشام ومصر وخراسان والتقى بالعديد من العلماء وأخذ عنهم [٧٧] . أما الفقيه "أبو حفص عمر بن الحسن الهوزنى" والذى كان من أكثر فقهاء هذا العصر شهرة فله رحلة إلى المشرق زار خلالها مصر والشام و العراق ومكة المكرمة ، ثم استقر فى مرسية بعد أن عاد إلى الأندلس ، وقد قتله " المعتضد بالله بن عباد " بسبب نصحه له بعد نكبة بربشتر [٧٨] . وقد سبقه فى هذا المجال الفقيه " محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبدالسلام " وكنيته أبى عبدالله وكان يعرف بابن شق الليل ، فقد رحل إلى مصر وتعلم من شيوخها من أمثال الفقيه " أبى الفرج الصوفى " و" أبى القاسم الطحان " و " أبى محمد النحاس " و" أبو القاسم بن ميسرة " وغيرهم ثم عاد إلى الأندلس بعلم غزير وقد غلب عليه الحديث عن الفقه وتوفى بطلبيرة سنة ٤٥٥هـ١٠٦٣م [٧٩] .

---

(٧٥) نفس المصدر، جـ ٢ ، ص ٦٩٧ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ .
(٧٦) ابن الفرضى : نفسه، جـ ٢ ، ص ٧٠٤ و ٧٢٣ .
(٧٧) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ .
(٧٨) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢، جـ ١، ص ٨٢ .؛ ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ .
(٧٩) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ .

ومن أشهر الفقهاء الذين رحلوا إلى المشرق أيضاً الفقيه " أبو الوليد الباجى " الذى استمر فى رحلته مايزيد على ثلاثة عشر عاماً زار خلالها الحجاز وتعلم ـ بعد آداء فريضة الحج ـ على يد فقهائه مثل الفقيه " أبى ذر الهروى " الذى حرص على ملازمته طيلة ثلاثة أعوام ، ثم انتقل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام أخرى درس خلالها الفقه وحفظ الحديث وسمع من الفقهاء مثل " أبو الطيب الطبرى " و " أبو إسحاق الشيرازى " . ثم واصل رحلته إلى بلاد الشام حيث سمع من " ابن السمسار " ونظرائه ، وانتقل إلى الموصل ليقيم بها عاماً إلتقى فيه بالفقيه " أبى جعفر السملانى " الذى تعلم منه أصول الفقه . ثم واصل رحلته إلى مصر سمع فيها من الفقيه " محمد بن الوليد " وغيره قبل أن يعود إلى الأندلس (٨٠) . ولاشك أن هذه الرحلة الطويلة قد تركت أثرها على الفقيه الباجى حيث كانت من العوامل التى دعته لتحقيق الغلبة على فقيه موسوعى مثل " ابن حزم " فى المناظرات التى تمت بينهما .

وهناك فقهاء أندلسيون رحلوا إلى المشرق لتلقى العلم لكنهم لم يعودوا إلى الأندلس وإن كانت مؤلفاتهم التى وصلت إلى الأندلس قد أسهمت فى الحركة الثقافية فيها ، ومن هؤلاء الفقيه " أبو بكر الطرطوشى " الذى غادر الأندلس سنة ٤٧٦هـ١٠٨٤م إلى مكة لأداء فريضة الحج ، ثم اتجه إلى بغداد فتلقى بعض الدروس على يد أئمتها من الشافعية والحنابلة مثل " الشيرازى " و " ابن الصباغ " و " أبو بكر الشاشى " فقيه بغداد الشافعى الذى تولى رياسة المذهب بعد " الشيرازى " . ثم اتجه إلى بلاد الشام وإلى بيت المقدس بعدها كى يلتقى بالإمام " أبى حامد الغزالى " لكنه لم يوفق إلى ذلك ، وتنقل بين حلب وإنطاكية (٨١) ، وانتهى به الترحال إلى مصر حيث نضج علمه فكانت له فيها العديد من المؤلفات واستقر بها حتى وفاته (٨٢) .

(٨٠) ابن فرحون : الديباج المذهب ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص٢٧٧ .
(٨١) جمال الدين الشيال:الطرطوشى العالم الزاهد،دار الكتاب العربى،سلسلة أعلام العرب،القاهرة١٩٦٨م ، ص ٣١ .
(٨٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .؛ محمد عبدالله عنان : تراجم إسلامية،ص ٢٩٠ و مابعدها .

أما الفقيه"أبو بكر بن العربى"(ت٥٤٣هـ١١٥١م) الذى اصطحب والده فى رحلته إلى المشرق فى أواخر القرن الخامس الهجرى وكان مازال فى سن الصبا فالتقى فى مصر بالفقيه " أبى الحسن الخلعى " و " أبى الحسن بن شرف " و "أبى الحسن ابن داود الفارسى" وكانوا من أعلام المشرق فى علم القراءات . والتقى فى الشام بـ " أبى نصر المقدسى " و" أبى سعيد النرنجانى " و" أبى حامد الغزالى " و" أبى بكر الطرطوشى " وأخذ على أيديهم علوم الفقه والحديث . وأقام فى الإسكندرية لدى "أبى بكر الطرطوشى" حيث مات والده هناك ، وعاد إلى الأندلس برسالة " الطرطوشى " إلى الأمير " يوسف بن تاشفين"، وأصبح قاضياً لإشبيلية وظل بها حتى وفاته حيث أشار البعض إلى أنه مات مقتولاً (٨٣) .

وكانت هناك مقاصد أخرى لرحلات علماء الأندلس حيث كثرت رحلاتهم إلى إفريقيه وبلاد المغرب نظراً لقربها من الأندلس ولتأثيرها وتأثرها بالأحداث والعلوم مع بلاد الأندلس . فقد كثرت الرحلة إلى القيروان وكان لعلمائها تأثير واضح فى إنتشار المذهب المالكى فى الأندلس عن طريق المدونة الكبرى للفقيه " محمد بن سحنون " التى تعد من المصادر الرئيسية للمذهب المالكى فى الأندلس ، فضلاً عن حضور الكثير من طلاب الأندلس لحلقات الدرس لهذا الفقيه (٨٤) . وكذلك الفقيه " ابن ابى زيد القابسى " التونسى الذى تعلم على يديه أو روى عنه الفقهاء الذين درسوا علم القراءات مثل الفقيه " أبو عمرو الدانى"(ت٤٤١هـ١٠٥٠م) (٨٥) .

أما عن الرحلات المقابلة التى قام بها فقهاء المشرق الإسلامى إلى الأندلس وكان منهم من عاد إلى المشرق ومنهم من استوطن الأندلس ، فقد اسهمت مثل هذه الرحلات فى

(٨٣) ابن سعيد : المغرب،جـ ١ ، ص ٢٥٤ .؛ النباهى : قضاة الأندلس ، ص ١٠٥ .؛ ابن فرحون : الديباج المذهب، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ .؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٨٤) الشاذلى بو يحيى : مساهمة الأفارقة فى الحياة الثقافية فى الأندلس فى عصر الطوائف والمرابطين ، مكتبة الدكتور السيد عبدالعزيز سالم ، ص ٨ .

(٨٥) الشاذلى بويحيى : مساهمة الأفارقة ، ص ٩ .

حدوث ثراء ثقافى إسلامى فى بلاد الأندلس . وقد شهدت الأندلس مثل هذا النوع من الرحلات منذ العصر الأموى ، ثم ازدادت فى القرن الخامس الهجرى وكانت سبباً ونتيجة فى الازدهار العلمى والأدبى الذى عاشته الأندلس خلال هذا القرن .

ومن أشهر الفقهاء الذين وفدوا إلى الأندلس فى العصر الأموى الفقيه " محمد بن حارث الخشنى "(ت٣٦١هـ٩٧٢١م) الذى ترك القيروان متجهاً إلى الأندلس التى تعد قبلة العلم والحضارة للمغرب الإسلامى ، واستقر " الخشنى " بقرطبة التى كانت ملتقى العلماء ، والتى استقطبت العلماء الوافدين إليها ، وقد تولى " الخشنى " مناصب رفيعة فى قرطبة أثناء عهد الخليفة " الحكم المستنصر " الذى عينه فى منصب حكم المواريث ببجانة ثم ولى الشورى بقرطبة (٨٦) ، وترك عدة مؤلفات فقهية فى أغلبها مثل كتاب أصول الفتيا وكتاب رأى مالك والاتفاق والاختلاف وطبقات فقهاء المالكية والرواه عن مالك وطبقات علماء إفريقيه وتاريخ علماء الأندلس والتعريف والمولد والوفاه والاقتباس وقضاة الأندلس والتحاسر والمغالاه والنسب (٨٧) .

وقد كثرت الرحلات من وإلى المشرق فى القرن الخامس الهجرى ، ومن أشهر الفقهاء الذين رحلوا إلى الأندلس بقصد تلقى العلم الفقيه " مكى بن أبى طالب " الملقب بحموش الذى دخل الأندلس سنة ٣٩٣هـ ١٠٠١م واستوطن قرطبة ودرس بها علوم القرآن حتى وافته المنية سنة ٤٣٧هـ١٠٥٥م ، وتتلمذ على يديه مجموعة من علماء الأندلس كما أفاد بمؤلفاته فى علم القراءات (٨٨) .

---

(٨٦) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٨٠٢؛ محمد عبدالوهاب خلاف : محمد بن حارث الخشنى ومخطوط أصول الفتيا ـ دراسة تحليلية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة فرع بنى سويف ، مجلد ١ ، عدد ١ ، ديسمبر ١٩٩١م ، ص ٦ ، ٧ .

(٨٧) الخشنى : قضاة قرطبة ، وهو كتابه المطبوع .؛ محمد عبدالوهاب خلاف : محمد بن حارث الخشنى ، ص ١٢

(٨٨) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٥٩٧ .؛ الشاذلى بو يحيى : مساهمة الأفارقة فى الحياة الثقافية فى الأندلس ، ص ١٨ .

ومن علماء المشرق الذين رحلوا إلى الأندلس الفقيه الشاعر " أبو بكر بن حسن المرادى " (ت. ٤٨٩هـ١٠٩٧م) الذى شملت رحلته كل الممالك الأندلسية حيث زار أغلب ملوك الطوائف ومدحهم بأشعاره ، وكانت له مع الكثير من علماء الأندلس مجادلات ومناظرات (٨٩) ، ومن الملاحظ أن الوافدين من العلماء الأندلس كثيرين فى العصر الأموى .

وكنتيجة للزحف الهلالى على شمال إفريقيا وبخاصة القيروان فى القرن الخامس الهجرى إزداد عدد العلماء الذين وفدوا إلى الأندلس من هذه المنطقة ، وكان لذلك تأثيره الواضح على إثراء الحركة الثقافية فى الأندلس (٩٠) .

وقد أورد ابن بشكوال أخبار العديد من الفقهاء الذين استوطنوا الأندلس وتلقوا العلم على يد علمائها وأفادوا كذلك فى ميادين علمها مثل الفقيه " الخليل بن أحمد بن عبدالله بن أحمد السبتى الشافعى " وكنيته أبو سعيد الذى قدم من العراق وروى عن العديد من الفقهاء مثل " أبو محمد بن النحاس " من مصر و" أبو سعيد أحمد بن محمد المالينى " و " أبو حامد الاسفراييني " و " ابن القصار " و " أبو القاسم الجوهرى " ، وعلى الرغم من أنه كان شافعى المذهب إلا أنه قد شارك أصحاب المذاهب الأخرى وفى عديد من العلوم حتى توفى سنة ٤٢٢هـ١٠٣٠م (٩١) . كما ذكر صاحب الصلة فقهاء آخرين مثل الفقيه " حسين بن محمد بن سلمون المسينى " وكنيته أبو على الذى كان من العدوة (ت. ٤٣٣هـ١٠٣٩م) (٩٢) . وكذلك الفقيه " عبدالله بن غالب بن تمام بن محمد الهمذانى" وكنيته أبو محمد الذى قدم إلى الأندلس من سبتة وسمع من "أبى محمد الأصيلى"

(٨٩) الشاذلى بويحيى : مساهمة الآفارقة ، ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٩٠) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ . الشاذلى بويحيى : مساهمة الآفارقة ، ص٩ .
(٩١) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .
(٩٢) نفس المصدر ، ص ١٤٥ .

obeikandl.com

و " الزبيدى " ، ثم رحل إلى المشرق حيث اشتهر بعلمه هناك فكان مقصداً لأهل الفقه والأدب والشعر حتى توفى سنة ٤٣٤هـ١٠٤٢م (٩٣) .

ومن الفقهاء الذين رحلوا من طنجة إلى المشرق ثم عادوا إلى الأندلس الفقيه "سليمان بن أحمد الطنجى" ، وقد شاركه فى رحلته إلى المشرق الفقيه " أبو الطيب بن غلبون المقرى " ، وقد استوطن المرية فى الأندلس وقرئ عليه وسمع منه (٩٤) . كما رحل إلى الأندلس الفقيه " عبدالله بن إبراهيم بن حجاج الكتامى السبتى " وكنيته أبو محمد واستقر فى شرق الأندلس ملازماً للفقيه " أبى الوليد الباجى " ، وكان على درجة من العلم جعلت الباجى يستخلفه فى التدريس فى حالة سفره ، وكانت لهذا الفقيه رحلة إلى المشرق أيضاً ، وقد توفى سنة ٤٧٠هـ١٠٧٨م (٩٥) .

ومن سبتة أيضاً كان الفقيه " عبدالله بن على"(ت٤٨٦هـ١٠٩٤م) الذى رحل إلى الأندلس وسمع من الفقيه " ابن سهل " و" مروان بن سمجون " ، وكان من أهل الفقه والبلاغة والإلمام بالوثائق وله كتب للقضاة بسبتة (٩٦) .

نظام المراسلات :

وهو وسيلة اتبعها الفقهاء للتبادل العلمى والمشاورة ، وسمى هذا النوع من المراسلة مراسلة وظيفية ، كما حدث مع الفقيه "أبو الأصبغ عيسى بن سهل" الذى هاجر الى المغرب وراسل العديد من فقهاء قرطبة للمشاورة (٩٧) فى القضايا ، وربما يكون طلباً للمناظرة كما حدث حينما أرسل الفقيه "على بن سعيد بن حزم" حينما كان فى مدينة

(٩٣) نفس المصدر ، ص ٢٨٨ .
(٩٤) نفس المصدر ، ص ٢٠٢ .
(٩٥) نفس المصدر ، ص ٢٨٨ .
(٩٦) نفس المصدر ، ص ٨٩ .
(٩٧ القاضي عياض :ترتيب المدارك ،ص١٨٣.؛علياء هاشم ذنون المشهداني : ،فقهاء المالكية ، دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف ق . ٥٦ هـ – كلية التربية – جامعة الموصل ،سنة ٢٠٠٣م، ص٤٧

ميورقه أحدا أبرز فقهاءها "أبو عبد الله محمد بن سعيد" الى الفقيه "أبو الوليد سليمان الباجي" يطلب منه الحضور الى ميورقه لمناظرة ابن حزم (٩٨) .

وهناك أغراض أخرى للمراسلات كتوطيد العلاقات فيما بينهم أو تبليغ أحكام وقضايا معينة مثل قضية ابن السقا التى تبادل فيها الفقهاء الأحكام عن السقا (٩٩) وغيرها من القضايا .

وقد ساعد تطور نظام البريد في الأندلس على تسيير المراسلات بين الفقهاء .

الكتب والمكتبات

لم تكن الرحلات بين المشرق والأندلس وحدها هى محور الاتصال العلمى بينهما بل كانت للكتب مساهمة فعالة فى هذا المجال سواء أكان ذلك عن طريق رحلات مؤلفيها أم من خلال ماكان يحمله العلماء فى رحلاتهم من وإلى الأندلس ، وقد أسهم ذلك فى دخول العديد من أمهات الكتب الفقهية وغيرها إلى الأندلس مثل الموطأ والمدونة والعتيبة التى حملها كبار فقهاء المالكية الأوائل مثل الفقيه " غازى بن قيس " و " زياد بن عبد الرحمن " و " يحيى بن يحيى الليثى " و " عبد الملك بن حبيب " الذى عاد من الأندلس ومعه العديد من كتب الفقه والتاريخ والأدب ، والفقيه " بقى بن مخلد " الذى أدخل إلى الأندلس مصنف " أبى بكر بن أبى شيبة " . وقد أورد " ابن خير " فى فهرسه أعداداً كبيرة من كتب المشارقة التى دخلت إلى الأندلس ودرست فيها ، وجاء ذلك من خلال ذكره عن شيوخه من الأندلسيين وكذلك مارواه عن شيخه " ابن عتاب " ولعل فى ذلك دلالة على اتساع إنتشار الكتب وكثرة تداولها بين الفقهاء وكذلك تعدد رواته ومدى ماأدخله الأندلسيون على بعضها من شرح أو نقد أو تلخيص (١٠٠) .

---

(٩٨) علياء هاشم :نفس المرجع، ص ٤٥ .
(٩٩) ابن سهل : الأحكام الكبرى ، ص ١٩١ .
(١٠٠) الشاذلى بويحيى : مساهمة الأفارقة ، ص ١٧ .؛ ابن خير : فهرسة مارواه عن شيوخه ، عدة صفحات . وقد ذكر ابن بشكوال أنه عاد محملاً بكتب كثيرة من المشرق . أنظر الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .

وقد ذكر ابن بشكوال أن أحد فقهاء القرن الخامس الهجرى وهو الفقيه " سلمه ابن سعيد " قد أحضر من المشرق إلى الأندلس ثمانية عشر حملاً من الكتب وهو أمر يوضح مدى حرص علماء الأندلس على الاستفادة من الكتب التى كانت تصدر فى المشرق وفى شتى ميادين العلوم دون التأثر بنزعة مذهبية أو عرقية لغياب هذه النزعات فى تلك الفترة على غير ماحاول بعض الكتاب فى العصر الحديث من البحث عن جذور لهذه النزعات (١٠١) .

وهناك مساهمات من الفقهاء بمؤلفات تفيد مجال التعليم مثل كتاب (آداب المعلمين) الذى ألف الفقيه أحمد بن عفيف بن عبد الله بن مريول الأموى ، وهو كتاب مؤلف من خمسة أجزاء (١٠٢) .

أما عن **المكتبات** فكان أمراً طبيعياً وجود مثل هذه الأماكن كى تحوى هذه الأعداد الهائلة من الكتب المؤلفة أو الوافدة والتى كانت تتعلق بشتى المجالات ، ولاشك أنها كانت تعبر عن قدر الثقافة أو الحضارة فى الأندلس بشكل عام .

وقد نشأت المكتبات العامة فى الأندلس منذ العصر الأموى ، فكان " الحكم المستنصر " من أول الذين أنشأوا مكتبة عامة فى قرطبة حوت مايزيد على أربعمائة ألف مجلد صنفت فى أربعة وأربعين فهرساً وحوى كل فهرس عشرين ورقة(١٠٣) . وأبدى هذا الخليفة حرصاً على أن تقتنى هذه المكتبة كتب المشرق الإسلامى عملاً على إثراء الثقافة فى الأندلس وخدمة لعلمائه حتى ذكر أن الخليفة " المستنصر " كان أباً للثقافة وأنه كان يهتم بشأن الكتب وترتيبها وفهرستها وصيانتها ، ولتحقيق هذا قام بتعيين موظفين لهذه المهمة التى كان يشارك فيها بنفسه أحياناً . كما أورد ابن عذارى نقلاً عن ابن حيان أن " مجاهد العامرى " صاحب دانية قد جمع من دفاتر العلوم خزائن

(١٠١) الشاذلى بويحيى : مساهمة الأفارقة ، ص ٢٤ .
(١٠٢) ابن بشكوال : الصلة ، جـ١ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .
(١٠٣) ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .؛ عبدالعزيز عتيق : الأدب العربى فى الأندلس ، ص ٨٣ .

جمة (١٠٤) ، وكذلك كان "المظفر بن الأفطس" صاحب بطليوس الذى كانت لديه خزانة عظيمة من الكتب (١٠٥) .

والحقيقة أن أعداد المكتبات العامة فى الأندلس ، وبخاصة فى القرن الخامس الهجرى، يصعب حصرها حيث كان اقتناء الكتب شارة من شارات الرياسة والشرف حتى عند الذين قل إهتمامهم بها (١٠٦) .

ومن المرجح أن تكون المساجد فى أغلبها قد احتوت على مكتبات فى داخلها بشكل جعل منها مراكز حضارية علمية إذا ماأضيف ذلك إلى دورها ، وكانت هذه المكتبات تحتوى فى الغالب على مؤلفات الفقهاء الموجودين بها أو المترددين عليها أو حتى فى الأماكن المحيطة بها أو فى المدن المتواجدة فيها ، وكانت فى الغالب تقوم على إسهامات الحكام أو الميسورين من أهلها إلى جانب دعم فقهائها (١٠٧) .

وإلى جانب هذه الأنواع العامة من المكتبات كانت هناك المكتبات الخاصة التى احتوتها بيوت الفقهاء وغيرهم من أهل العلم حيث كان من الطبيعى أن يكون لكل فقيه أو عالم أو طالب علم مكتبة خاصة تعينه على البحث والدراسة والاطلاع والتأليف . وكانت هذه المكتبات تتكون إما بالشراء أو الإهداء المتبادل بين أهل العلم ، وإن كانت نوعية كل مكتبة تكثر من فرع العلم الذى يتخصص فيه صاحبه على غيرها من الكتب التى تتناول العلوم الأخرى (١٠٨) .

ومن فقهاء القرن الرابع الهجرى الذين عنوا باقتناء الكتب وتكوين مكتبات خاصة الفقيه " سعيد بن نصر بن أبى الفتح"(ت٣٩٥هـ١٠٠٣م) حيث ذكر أنه اعتنى

(١٠٤) ابن عذارى : البيان المغرب : جـ ٣ ، ص ١٥٦ .
(١٠٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٥٤ .
(١٠٦) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٧١ .
(١٠٧) كريم عجيل : الحياة العلمية فى بلنسية ، ص ٢٩٠ .
(١٠٨) نفس المرجع ، ص ٢٩١ .

obeikandl.com

بتجويد الكتب وتصحيحها وكان يلجأ إليه فيها ويعارض بها[١٠٩].وكذلك الفقيه "عبدالله بن يوسف بن نصر الأزدى" (ت٤٠٠هـ١٠٠٨م) الذى ذكر أنه كان جماعاً للكتب وأنه تقلد قراءة الكتب فى عهد الدولة العامرية [١١٠] .

أما من فقهاء القرن الخامس الهجرى فكان الفقيه " عبدالرحمن بن فطيس " (ت٤٠٢هـ١٠١٠م) ، فقد ذكر أنه كان يهتم بشراء الكتب من الناس بأغلى الأسعار وأنه كان يقوم بنسخ الكتب التى لايستطيع شراءها ويردها إلى أصحابها [١١١] . والفقيه " سلمة بن سعيد بن برد الأنصارى " (ت٤٠٦هـ١٠١٤م) (سبقت الإشارة إليه) الذى عاد من المشرق مصطحباً ثمانية عسر حملاً مشدودة من الكتب فكون منها مكتبته الخاصة[١١٢] . وكذلك الفقيه"محمد بن أحمد بن هرثمة بن ذكوان"(ت٤٣٥ هـ١٠٤٣م) الذى اشتهر بأنه كان مولعاً باقتناء الكتب الغريبة فى مكتبته [١١٣] . وفقيه آخر وصف بأنه كانت له همة عالية فى إقتناء الكتب وجمعها وهو الفقيه " عبدالله بن حيان بن فرحون بن علم بن عبدالله بن موسى بن مالك بن حمدون بن حيان الأنصارى الأروشى " وقد تعرضت مكتبته الخاصة لنكبة تعرض لها من " ابن ذى النون " صاحب بلنسية حيث أخذها من داره ونقلها إلى قصره وتعرضت أثناء ذلك لإختفاء الكثير من محتوياتها ، وقد ذكر أن النصارى قد لعبوا دوراً فى هذه النكبة تعبيراً عن غيرتهم من قدر ثقافة الأندلسيين وأنهم استخدموا " القادر بن ذى النون " كوسيلة لتحقيق مأربهم [١١٤] .

واستكمالاً لدائرة مواطن الثقافة فى الأندلس خلال فترة البحث تجدر الإشارة إلى دكاكين الوراقين وماكانت تؤديه من وظائف ، وقد عرفت وظيفة الوراقين على أنها مهمة

(١٠٩) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .
(١١٠) نفس المصدر ، ص ٢٤٨ .
(١١١) نفس المصدر ، ص ٢٩٩ .
(١١٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٠ .
(١١٣) نفس المصدر ، ص ٤٩٩ .
(١١٤) نفس المصدر ، ص ٤٧٨ .

يتولى أصحابها تصحيح الكتب وكتابتها بشكل واضح وسليم وبخط جيد يسهل معه قراءتها ثم تجليدها ونشرها للقراء . ولم يقف دورهم عند هذا الحد بل شمل ـ كما أشار بعض المؤرخين ـ مشاهدتهم للمناقشات العلمية الأدبية ولذا كان الكثير منهم على درجة كبيرة من العلم والثقافة ، وكانوا عادة مايلتقون فى الحوانيت لتبادل أخبار الكتب والمؤلفين فى مختلف العلوم (١١٥) .

ولم تكن هذه الظاهرة وليدة القرن الخامس الهجرى بل تعود جذورها إلى العصر الأموى فى الأندلس حيث أورد ابن الأبار أن الخليفة الأموى " الحكم المستنصر " قد استخدم هؤلاء الوراقين فى عديد من أقطار البلاد (١١٦) . وقد وجدت فى هذا العصر الأموى ـ العديد من الحوانيت المتفرقة الممتلئة بالكتب فى مناطق كثيرة فى الأندلس وعادة ماكانت للكتب التى تتناول العلوم الشرعية وبخاصة الفقه لها الغلبة فى هذه الحوانيت الأمر الذى كان يوحى بدور الفقهاء فى الحركة الثقافية ، وكذلك كان من العادة أن يكون فى كل مدينة من مدن الأندلس سوق لبيع الكتب وتبادلها (١١٧) .

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة واضحة وهى وجود ارتباط بين انتشار الكتب وبين الحكام السياسين على نحو ماسبق ذكره من إهتمام الخليفة الأموى " الحكم المستنصر " من إهتمامه بالكتب والمكتبات وتشجيعه هذا المجال . وقد زادت هذه الظاهرة فى عصر ملوك الطوائف للتنافس الذى كان بينهم حول التظاهر بتشجيع أهل العلم وإن كان قد غلبه الأدباء والشعراء على حساب زيادة سطوة الفقهاء قبل ذلك ، وإن كان بعض هؤلاء قد بدت ميوله الشخصية إلى الإهتمام بالكتب مثل " أبو محمد بن عمر بن محمد بن عبد الله"

---

(١١٥) كريم عجيل : الحياة العلمية فى بلنسية ، ص ٢٩٢ .

(١١٦) الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .

(١١٧) المقرى : نفح الطيب،جـ١، ص ٣٧١، أشار الى المكتبات فى القرن الخامس تعد من شارات الرياسة والشرف كريم عجيل : الحياة العلمية فى بلنسية ، ص ٢٩٣ . ومما يشير إلى دور الفقهاء فى إنتشار الكتب وتسويقها وجلبها ماقام به الفقيه يحيى بن يحيى الليثى فى العصر الأموى حيث كان يقوم بشراء الكتب النفيسة من المشرق الإسلامى وجلبها إلى الأندلس من خلال بعثات متكررة . أنظر حسين مؤنس : شيوخ العصر فى الأندلس، ص ٧٥ .

" المظفر بن الأفطس " الذى كان مولعاً بالأدب وكان له مؤلف مشهور مكون من خمسين مجلداً اشتمل على فنون وعلوم ومغازى وسير عرف باسم المظفرى ، وكانت له خزانة كبيرة للكتب لكونه كان جامعاً لها ، وقد دعاه هذا إلى تشجيع الأدباء ومساعدتهم على نشر الكتب الأدبية (١١٨) .

على أن تشجيع الكتب التى كانت تتناول العلوم الدينية كان من بين إهتمامات بعض حكام ملوك الطوائف فى القرن الخامس الهجرى حيث شجع " مجاهد العامرى " نشر هذه الأنواع من الكتب سواء الفقهية أو فى علم القراءات مركزاً على الكتب التى كانت تتناول المذهب المالكى دون الكتب التى كانت تتناول المذاهب الأخرى لدرجة وصلت إلى حد إقدامه على حرقها كما حدث مع الفقيه " ابن حزم الظاهرى " الذى حرقت كتبه (١١٩) .

والحقيقة أن عصر ملوك الطوائف يعد ـ رغم الضعف السياسى ـ من عصور الثراء الثقافى فى الأندلس حيث أدى تعدد الحكام واختلاف إهتمامات كل منهم إلى التنوع الثقافى الذى هو أساس ذلك الثراء ، فنجد " المعتمد بن عباد " قد أبدى إهتماماً بالشعر والشعراء ، و " المؤتمن بن هود " أولى إهتماماً بالعلوم الرياضية ، و " مجاهد العامرى " يولى إهتمامً بعلم القراءات والفقه أيضاً ، وأبدى كل هؤلاء وغيرهم من حكام الطوائف إهتماماً بالكتب والمكتبات مع تغليب فروع إهتماماتهم ، ولاشك أن ذلك التنوع الثقافى وزيادة الإهتمام بأهله والتنافس بينهم فى ذلك كان من أبرز مقومات الثراء الثقافى الذى شهدته الأندلس خلال هذه الحقبة .ولو أننا تصورنا أن ذلك العصر كان بداية الضعف السياسى الذى اجتاح الأندلس مع هذا الموروث الثقافى الهائل الذى انتقل إلى أوروبا بعد سيطرة النصارى على الأندلس لأدركنا أثر هذا الرصيد على البناء الحضارى الأوربى فى مطلع العصور الحديثة .

---

(١١٨) المقرى: نفح الطيب، جـ ٤،ص ٣٥٤؛مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسى موضوعاته وفنونه ،ص ١٠٣، ١٠٤

(١١٩) ابن سعيد : المغرب ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، أحمد هيكل : تاريخ الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، القاهرة ،سنة ١٩٨٥م ، ص ٣٥٧ .

openkanal.com